OPEN ACCESS
Journal of Arabic Research (AIOU)
jar.aiou.edu.pk
iri.aiou.edu.pk

المستوى البياني في شعر فحول العصر الأموي

The diagrammatic level in the poetry of the stallions of the Umayyad period

۞ **زاهدة محمد شفاعت ربانی**
المحاضرة بكلية البنات تبه سلطان
۞۞ **د. طيبة محمد شفاعت ربانی**
المحاضرة بكلية البنات فی وهاری

Abstract

Stallions employed the arts of rhetoric in their poems; service to the meanings in which they speak. Their meanings did not come out traditionally. They chose from the expressions that fit the meanings they wanted to express. They drew beautiful mental pictures of their meanings to influence the receiver. Especially that they were addressing the Caliphs of the Umayyads in their poems. They chose from the arts of eloquence, which helps them to strengthen their meanings, and improve them. And try to get the admiration of the caliphs about them. To get close to them and get their gifts. This research article is an attempt to highlight their poetic ability, and to show the side of excellence, and to describe the achieved creativity in their poetry systems. Among the art of eloquence that poets employed in their poems are: simile, metaphor, and metonymy.

Keywords: **Umayyad, expression, poetry, admiration, eloquence, metaphor.**

وظفّ الفحول فنون البلاغة في أشعارهم؛ خدمة للمعاني التي يتحدثون فيها. فلم تخرج معانيهم بصورة تقليدية. إذ اختاروا من التعابير ما يتناسب مع المعاني التي أرادوا التعبير عنها. فرسموا صوراً ذهنية جميلة لمعانيهم. للتأثير في المتلقي. ولاسيما انهم كانوا يخاطبون خلفاء بني أمية في أشعارهم. فاختاروا من فنون علم البيان ما يساعدهم على تقوية معانيهم، وتحسينها. ومحاولة نيل إعجاب الخلفاء عنهم. ليحظوا بتقريبهم، والحصول على عطاياهم. ومحاولة منهم ابراز مقدرتهم الشعرية، وإظهار جانب التفوق. وتحقيق الإبداع في نظم الشعر. فمن فنون البيان التي وظفها الشعراء في أشعارهم: التشبيه، والاستعارة، والكناية.

التشبيه:

عرف التشبيه: "بأن يثبت للمشبه حكم من أحكام المشبه به. فإذا لم يكن بهذهِ الصفة، أو كان بين المشبه، والمشبه به بُعْدٌ، فذلك الذي يطرح، ولا يستعمل"[1]. ويتم ذلك عن طريق "عقد موازنة بين شيئين،او اكثر قصد اشتراكهما في صيغة، او اكثر بأداة لغرض يقصده المتكلم"[2].

فالتشبيهات في هذا المبحث تفيد من القرآن كثيراً. فالشعراء عندما يتحدثون في معنى معين. يعمدون إلى التشبيه بشخصية معروفة. بما يناسب المعنى الذي يتحدثون فيه. أي ان هناك علاقة مشاركة بين المشبه، والمشبه به في أمر ما. والأمر هذا يقصد معناً مشتركاً. فان كان المعنى يدور في معاني الخير، والمدح، والفخر. اختاروا ما يناسبها من الشخصيات التي عرفت بالخير، واشتهرت به. كالأنبياء، والرجال الصالحين.

وان كان المعنى يدور في الهجاء، والحديث عن الشر، والهلاك، والعذاب. اختاروا ايضاً ما يناسبه من التشبيه بالأقوام الفانية التي هلكت؛ نتيجة لعصيانهم. والتشبيه كذلك بالشخصيات التي اشتهرت بالشر، والضلال،والعصيان. كالسامري، وابن نوح.

ولا يقتصر الشعراء على اسم محدد، او فعل، او حرف من أدوات التشبيه. فهم يوظفون كل أدوات التشبيه بما يتيح لهم حرية التعبير عن المعاني التي يريدون التعبير عنها، وإبراز هذه المعاني بأجمل صورة.

فالاخطل يهجو قبائل قيس، بقوله[3]:

أمال عليهم تغلب بنة وائل فكانوا عليهم مثل راغية البكر

يعمد الاخطل إلى تشبيه قبيلة قيس بِبِكرِ ناقة صالح عليه السلام. الذي رغا بعد ان عقروا الناقة، واخذ يدور حولها. فكذلك أبناء قبيلة تغلب كانوا يدورون حول قتلى خصومهم. فهم يشبهون بكر الناقة بعد انتصارهم عليهم. واستخدم الاخطل أداة التشبيه، وهي الاسم مثل.

ويستخدم الفرزدق أسلوب التشبيه في شعره ايضاً. إذ يهجو خصمه جرير، ويشبهه ببكر ناقة صالح. في قوله[4]:

وكان لهم لما عوى الكلب دوتهم جرير عليهم مثل راغية السّقب

فبِكرِ الناقة لما رغا بعد ان عقروا الناقة، أهلكهم الله. فكأنّ صوت هذا السقب قد اصبح مثالاً يضرب في النحس، واستحقاق العذاب. فالفرزدق يشبه صوت جرير عندما يقول الشعر بصوت

هذا السقب. كأنّه حين يقول الشعر يجلب الهلاك لقومه. لان الفرزدق سيهجوه، وقومه بمعان تحط من أقدارهم.

ويهجوه ايضاً مستخدماً المعنى ذاته في التشبيه. إذ يقول[5]:

وكان جرير على قومه كبكر ثمود لها الانكد

ولا يستخدم الفرزدق أداة واحدة في التشبيه. إذ استخدم في البيت السابق الاسم: مثل. أما في البيت الذي يليه استخدم حرف (الكاف). ويكثر الفزردق من تشبيه خصومه ببكر ناقة صالح[6].

ويهجو الفرزدق الحجاج، بقوله[7]:

فلمّا عتا الجحاد حين طغى به غنىً قال إنّي مرتقٍ في السّلالم

فكان كما قال ابن نوح سأرتقي الى جبل من خشية الماء عاصم

فالفرزدق يستخدم حرف التشبيه (الكاف). في تشبيه الحجاج بابن نوح عليه السلام. في الطغيان، والتجبر، والعصيان، والتمرد.

ويهجو الفرزدق آل المهلب، في قوله[8]:

فصاروا كمن قد كان خالف قبلهم ومن قبلهم عاد عصت وثمودها

فيشبه آل المهلب بقوم عاد، وقوم ثمود. مبيّنا انهما فُنيا؛ لعصيانهم رسولا الله تعالى اليهما. فكذلك آل المهلب ان عصوا الدولة، وتمردوا عليها،فسيحل عليها الهلاك. فعمد الى حرف التشبيه (الكاف) في ربط التشبيه.

ويشبه الفرزدق رأس الإبل الكثيرة الأكل بمقابر قوم عاد. في قوله[9]:

مهاريس أَشباه كأنّ رءوسها مقابر عاد جلّةُ البكرات

فيستخدم حرف التشبيه (كأنّ) المشددة. لبيان كثرة رأس هذه الابل التي تشبه مقابر عاد.

ويناقض جرير الفرزدق، ويرد عليه، بقوله[10]:

تفاك الاغر ابن عبد العزيز بحقك تُنفى عن المسجد

وشبهت نفسك اشقى ثمود فقالوا ضللت ولم تهتد

وقد أُجلّوا حين حلّ العذاب ثلاث ليالٍ الى الموعد

فجرير استخدم الفعل (شبهت) في تشبيه الفرزدق بقوم ثمود. إذ أُجلُّوا ثلاثة ايام حتى أتاهم العذاب. وكذلك الفرزدق أجلّه عمر بن عبد العزيز ثلاثة أيام ايضاً؛ ليخرج من المدينة. فكأنّه بخروجه منها قد هلك. وانه سيلاقي العذاب عند مفارقتها. ويهجو جرير سراقة البارقي، بقوله[11]:

يآل بارق لو تقدم ناصح　　للبارقي فانّه مغرور

كالسآمري غداة ضلّ بقومه　　والعجل يعكف حوله ويخور

فجرير يشبه سراقة بالسامري الذي كان سبباً في ضلال قوم موسى عليه السلام. ويعمد جرير الى استخدام حرف التشبيه (الكاف). فسراقة يشبه السامري في التيه، والضلال، وعدم الاهتداء إلى الطريق المستقيم.ولا يقتصر توظيف التشبيه على الهجاء. بل يتعداه إلى المدح. إذ يمدح الفرزدق أيوب بن سليمان بن عبد الملك، بقوله[12]:

فاصبحتما فينا كداود وابنه　　على سُنّةٍ يهدي بها من يسيرها

فالفرزدق يشبه سليمان بن عبد الملك، وابنه أيوب بالنبي داود، وابنه سليمان عليه السلام في الحكم، وإدارة امور الدولة. ويستخدم حرف التشبيه (الكاف).

ويمدح الفرزدق الوليد بن عبد الملك، بقوله[13]:

ورثت اباك الملك تجري بسمته　　كذلك خوط النّبع ينبت في الأصل

كداود إذ ولّى سليمان بعده　　خلافته نحلاً من الله ذي الفضل

فالفرزدق يشبه وراثة الوليد للخلافة من أبيه عبد الملك بالنبي داود، وابنه سليمان عليه السلام. اللذان كانا يحكمان ايضاً. واستخدم الفرزدق حرف التشبيه (الكاف) في تشبيه ممدوحيه بالنبي داود، والنبي سليمان.ويشبه جرير نفسه بالنبي نوح عليه السلام الذي دعا الله تعالى؛ لينجيه من أعدائه. يقول جرير[14]:

كصاحب الموج إذ مالت سفينته　　يدعو إلى الله إسراراً وإعلانا

فيستخدم حرف التشبيه (الكاف) في بيان كثرة توجهه إلى الله تعالى بالدعاء. كالنبي نوح عليه السلام.

ويمدح مسلمة بن عبد الملك، بقوله[15]:

مسلم جرّار الجيوش الى العدا　　كما قاد أصحاب السفينة نوح

فيشبه حُسن إدارة مسلمة للجيوش، وقيادته لها. بقيادة النبي نوح عليه السلام للسفينة، وتوجيهها نحو بر الأمان، والخلاص من الأعداء.ويوسع الفرزدق من دائرة الأغراض التي يستخدم فيها التشبيه إلى الرثاء. إذ يرثي عبد العزيز، بقوله[16]:

ظلّوا على قبره يستغفرون له وقد يقولون تارات لنا العبرُ

يُقبّلون تُراباً فوقَ أعظمه كما يُقبّل في المحجوجة الحجرُ

فالناس واقفون على قبره يدعون الله؛ ليرحمه، ويغفر له. ويتعظون بموته، ويقبلون التراب الذي فوق قبره. كما يقبل في الحج الحجر الاسود. فكأن قبره مقدس. ويبين محبة الناس لعبد العزيز.

ويصف الفرزدق الاموات في قوله[17]:

اذا يثورون أفواجاً كأنَّهم جَرادُ رِيحٍ من الأجداثِ مَنْشُورِ

فهو يشبه الأموات، وهم يقومون من القبور بالجراد المنتشر في الهواء. فالأموات مشبه. والجراد مشبه به. وأداة التشبيه هو الحرف (كأنّ) المشددة. ووجه الشبه: الكثرة. والأبيات المارة الذكر في التشبيه ذكرت فيها أداة التشبيه. ويسمى هذا النوع من التشبيه: التشبيه المرسل. وهناك نوع آخر من التشبيه. هو التشبيه المؤكد الذي تُحذف منه الاداة[18].

مثل قول جرير[19]:

دعا أهل العراق دعاء هود وقد ضلُّوا ضلالة قوم هود

فالتشبيه هنا محذوف الأداة. فهو تشبيه بالمفعول المطلق. فمعنى البيت يدلنا على ان المراد من البيت هو التشبيه. فهو يشبه أهل العراق بقوم هود. في الضلال، والهلاك. فالشعراء أرادوا من استعمالهم التشبيه؛ تقريب المعنى الذي يتحدثون عنه إلى الأذهان.

الاستعارة:

الاستعارة هي: "نقل المعنى من لفظ إلى لفظ؛ لمشاركة بينهما مع طيّ ذكر المنقول إليه"[20]. والاستعارة تعتمد على التشبيه، وتقوم عليهِ[21]. فالاستعارة في الكلام. هي نقل معنى الاسم عن الأصل اللغوي الذي وضع له إلى معنى آخر[22].

لأداء معنى جديداً، وقد وظفّ الشعراء الاستعارة في أشعارهم.

يقول الاخطل متحدثاً عن الموت[23]:

ونفسُ المرءِ ترصُدُها المنايا وتحدرُ حولَهُ حَتّى يُصابا

إذا أُمرت به ألقت عليه أحدّ سلاحها ظُفُراً ونابا

فالاخطل يشبه الموت بالحيوان المفترس الذي له أظافر، وناب. بها يهجم على فريسته. فحذف المشبه به، وهو الحيوان المفترس. وذكر شيئاً من لوازمه؛ للدلالة عليه. وهي الظفر، والناب. ويسمى هذا النوع من الاستعارة. الاستعارة المكنية[24].

ويعمد إلى استخدام الاستعارة نفسها في حديثه عن الموت ايضاً في قوله[25]:

ولا أرى الموتَ يأتي مَن يحمّ له إلاّ كفاه ولاقى عنده شغلا

وبينما المرء مغبوط بمأمنه إذ خانه الدّهر عمّا كان فانتقلا

إذ يشبه الدهر بالإنسان. ويستعير له شيئاً من لوازمه، وهي الخيانة. فالاستعارة هنا مكنية.

ويستخدم الفرزدق الاستعارة في قوله هاجياً[26]:

جُعلت على سعد عذاباً فأصبحت تلاعن سعد في عذابي وتقمع

تلاعن أهلِ النّار إذ يركبونها وإذ هي تغشى المجرمين وتسفع

فيشبه دخول الكافرين إلى النار. بالدابة التي تُركب. فالنار لا تُركب. فحذف المشبه به، وهو الدابة. وذكر شيئاً من صفاتها، او لوازمها. وهي الركوب الخاص بالدواب. فالاستعارة هنا مكنية.

ويهجو ايضاً. بقوله[27]:

ألم ترَ أن الأرض اصبح يشتكي الى الله لؤم ابني دخان ترابها

فعمد إلى استنطاق الأرض. واستعار لها الشكوى التي هي من صفات الإنسان في توضيح معناه. فالاستعارة هنا مكنية التي أفادت بيان مدى ثقل المهجو. حتى كأنّ الأرض تشكو لؤم قومه.

ويهجو جرير الاخطل، وقومه. بقوله[28]:

تبعوا الضلالة ناكبين عن الهدى والتغلبي عمي الفؤاد ضلول

فشبه الضلالة بالإنسان. واستعار لها شيئاً من صفاته، وهي: الاتباع. فالاستعارة هنا مكنية. عمد جرير إلى استخدامها؛ لبيان ضلالة الاخطل، وقومه، وعدم اهتدائهم إلى الطريق المستقيم. فأراد تقوية معنى البيت.

ويمدح الفرزدق الحجاج، مستخدماً الاستعارة. في قوله[29]:

جنوداً دعا الحَجاج حين أعانَهُ بهم إذ دعا ربَّ العبادِ لينصرا

بشهباء لم تُشرّب نفاقاً قلوبُهم شاميةٍ تتلو الكتابّ المنشّرا

يبيّن ان الله انزل مع الحجاج جنوداً للقتال. وإن هؤلاء الجنود مهتدون، وغير ضالين فعبر عن ذلك بقوله: لم تشرب نفاقاً قلوبهم. فالقلوب لا تشرب النفاق، فعيّر بهذا المعنى ليبين عدم تفاقهم. وهذا النوع من الاستعارة يسمى: الاستعارة التصريحية. وهي التي يصرح فيها بذكر المشبه به دون المشبه[30].

ويمدح جرير عمر بن عبد العزيز. بقوله[31]:

أنتَ المبارك والمهديُّ سيرته تعصي الهوى وتقوم الليلَ بالسُّوَر

يبين التزام عمر بقيام الليل، وقراءة الُقرآن. حتى انه عدّ الهوى شخصاً. فهو يخالفه، ويعصيه. فالاستعارة هنا مكنية. إذ حذف المشبه. وهو الانسان. وجاء بصفة من صفاته؛ للدلالة عليه، وهي العصيان.ويتضح مما مرّ ذكره ان استخدام الشعراء للاستعارة جاء لتقوية المعاني التي يتحدثون عنها. وإلباسها ثياباً جديدة.

الكناية:

الكناية تعني: "أنها كل لفظة دلت على معنى يجوز حمله على جانبي: الحقيقة، والمجاز. بوصف جامع بين الحقيقة، والمجاز"[32].

فهي نوع من العدول في التعبير عن المعاني بالألفاظ التي وضعت لهذه المعاني. والتعبير عن تلك المعاني بألفاظ أخرى فيها شيء من التأول. وهناك علاقة بين اللفظين اللذين يؤديان المعنى[33]. فالشعراء استخدموا الكناية في أشعارهم؛ للتعبير عن معان معينة. دون الاستعانة بالألفاظ المعروفة، الموضوعة لتأدية هذهِ المعاني.

من ذلك قول الراعي النّميري[34]:

صلّى على عزة الرحمن وأبنتها ليلى وصلّى على جاراتها الأُخر

إذ كنّى في الشطر الاول من البيت عن عفة عزة، وابنتها بصلاة الله عليهما، وشمولهما برحمته تعالى. ولا يقصد الصلاة لذاتها. وتشمل هذهِ الرحمة حتى جاراتها العفيفات.

ويقول الفرزدق مفتخراً[35]:

وكنّا اذا الجبارُ صَعَّرّ خدَّهُ ضربناهُ حتّى تستقيمَ الأخادعِ

إذ كنى الفرزدق عن التكبر بتصعير الخد. اي إمالة الخد؛ إعراضاً، وتكبراً. ويقول مفتخراً ايضاً[36]:

حللُ الملوكِ لباسُنا في أهلنِا والسّابغاتِ الى الوغى نتسربلُ

إذ كنى عن شجاعته، وقومه في الحروب، بأنّهم يلبسون الدروع كالقمصان. فالدروع في الحرب تكون جزءاً من لباسهم. ويبين استعدادهم لخوض غمار الحروب.ويفتخر الفرزدق ايضاً، بقوله[37]:

ورثنا عن خليلِ الله بيتاً يُطيّبُ للصّلاةِ وللطّهورِ

إذ يدعي وراثته، وقومه البيت الذي بناه النبي ابراهيم عليه السلام والذي كنّى عنه بقوله: خليل الله، إذ أُطلق هذا الوصف على النبي إبراهيم. وبه اختص. فاستعمل الوصف لتعظيم شأن النبي. وكنّى عن قداسة بيت الله الحرام، وطهارته. حتّى ان الصلاة فيه تُطيب بعبق قداسة هذا المكان. وكذلك الطهر. ويمدح جرير العجم، بقوله[38]:

وأبناءُ اسحاقَ اللّيوثُ إذا أرتدوا محاملَ موتٍ لابسين السّنّورا

إذ كنى عن شجاعتهم، ومواجهة العدو. كأنهم يحملون الموت، وهم يرتدون السلاح.

ويكني جرير عن النبي نوح عليه السلام في قوله[39]:

كصاحبِ الموج إذ مالت سفينته يدعو إلى الله إسراراً وإعلاناً

بقوله: صاحب الموج. وهذه الكنية اختصت بالنبي نوح عليه السلام وبها وصف.

ويرثي زوجته ام حزرة، بقوله[40]:

أفامّ حزرةَ يافرزدقُ عبتُم غضبَ المليكُ عليكُمُ القهَّار

كانت اذا هجرَ الحليلُ فِراشها خُزنَ الحديثُ وعفّتِ الأَسرار

إذ كنى عن الزوج بقوله: الحليل. وكنى عن وفائها، وحفظها لأسرار زوجها، بقوله: خزن الحديث. أي تخزن أسراره، ولا تخبرها أحداً من الناس. فهو يتحدث عن عفتها. ولم يعمد إلى الألفاظ ذات المعاني القريبة المفهومة. إنما عمد إلى الألفاظ البعيدة المعاني عن طريق الكناية.

ويهجو جرير الاخطل بقوله[41]:

ينامُ التغلبيّ وما يصلي ويُضحي غيرَ مرتفع الوِساد

إذ كنى عن فقره، وسوء معيشته بأنه يتوسد حجراً، او تراباً. إذ ان من مظاهر النعمة، والترف أن ينام الإنسان على الفرش المريح.

هذه كانت ابرز فنون علم البيان التي زّين الشعراء بها أشعارهم. وعبروا بها عن المعاني التي يريدون صياغتها. مستعينين بقدرتهم على التصرف بالفنون البلاغية المختلفة. لتقوية المعاني التي يتحدثون فيها.

الهوامش

1 المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر لابي الفتح نصر الله ضياء الدين المعروف بابن الاثير الموصلي – تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد – مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده – مصر – 417.

2 بناء الصورة الفنية في البيان العربي موازنة وتطبيق د. كامل حسن البصير مطبعة المجمع العلمي العراقي- 1987، 274.

3 شعر الاخطل صنعة السكري – تحقيق د.فخر الدين قباوة – منشورات دار الآفاق – بيروت – الطبعة الثانية – 1979. الجزء الثاني، 672.

4 شرح ديوان الفرزدق جمع وتعليق عبد الله اسماعيل الصاوي – مطبعة الصاوي مصر – الطبعة الاولى – 1936، الجزء الاول، 87.

5 م. ن، 207.

6 :شرح ديوان الفرزدق، الجزء الثاني، 462، البيت 83، 625، البيت الاول، 675، البيت العاشر.

7 م. ن، 853.

8 م. ن، الجزء الاول، 188.

9 شرح ديوان الفرزدق، الجزء الاول، 134.

10 ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب – تحقيق د. نعمان محمد أمين طه – دار المعارف – مصر – 1971 المجلد الثاني، 842.

11 م. ن، المجلد الأول، 366.

12 شرح ديوان الفزردق، الجزء الاول، 308.

13 شرح ديوان الفزردق، الجزء الثاني، 704.

14 ديوان جرير، المجلد الاول، 160.

15 م. ن، المجلد الثاني، 788.

16 شرح ديوان الفرزدق، الجزء الاول، 225.

17 م. ن، 264.

18 بناء الصورة الفنية في البيان العربي، 279.

19 ديوان جرير، المجلد الثاني، 727.

20 المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر، الجزء الاول، 365.

21 بناء الصورة الفنية في البيان العربي، 322.

22 البلاغة العربية د. احمد مطلوب –وزارة التعليم العالي والبحث العلمي- الطبعة الاولى- 1980، 211.

23 شعر الاخطل، الجزء الاول، 332.

24 البلاغة العربية، 218.

25 شعر الاخطل، الجزء الاول، 157.

26 شرح ديوان الفرزدق، الجزء الثاني، 506.

27 م. ن، الجزء الاول،70.

28 ديوان جرير، المجلد الاول، 95.

29 شرح ديوان الفرزدق، الجزء الاول، 301.

30 البلاغة العربية، 217.

31 ديوان جرير، المجلد الاول، 416.

32 المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر، الجزء الثاني، 194.

33 بناء الصورة الفنية في البيان العربي، 328.

34 شعر الراعي النميري واخباره ناصر الحاني راجعه وجمع شواهده ووضع فهارسه عز الدين التنوخي – مطبوعات المجمع العلمي بدمشق – 1964، 87.

35 شرح ديوان الفرزدق، الجزء الثاني، 519.

36 م. ن، 717.

37 م. ن، الجزء الاول، 350.

38 ديوان جرير، المجلد الاول، 472.

39 م. ن، 160.

40 ديوان جرير، المجلد الثاني، 865.

41 م. ن، المجلد الاول، 286.